لغة العرب

مجلة شهرية ادبية علمية تاريخية

الجزء ٤ من السنة ٣ عن ذي القعدة ١٣٣١ = تشرين ١ ١٩١٣

الجرامقة

Les Garmacites, Djarmaces ou Djarâmikeh.

١ ° مقدمة البحث

من الاجيال البائدة التى لابقية لها اليوم الجرامقة . وقد اختلف العلماء فى اصلهم ونسبهم كما ذهبوا مذاهب فى لغتهم وتمدنهم . ولكى لايقع ارتباك فى تعريفهم نذكر اولاً راى العرب فيهم ثم نذكر راى الافرنج ونختم البحث بما يعن لنا فنقول :

٢ ° راى العرب فى الجرامقة

قال القلقشندى فى كتاب نهاية الارب، فى معرفة انساب العرب : «الجرامقة هم اهل الموصل فى الزمن القديم ، من ولد جرموق بن اشور بن سام ، فيما قاله ابن سعيد . وقيل : الجرامقة من ولد كاثر (او جاثر) بن ارم بن سام فيما قاله غيره . » اه .

وقال السيد المرتضى فى تاج العروس : الجرامقة قوم من العجم صاروا بالموصل كما فى الصحاح. وزاد غيره : فى اوائل الاسلام . وقال الليث : جرامقة الشام انباطها ، الواحد منهم جرمقانى ، وهذا كالاسم الخاص . ومنه قول الاصمعى فى الكميت : هو جرمقانى . ويقال ايضاً فى الواحد منهم الجرمقى . وهكذا نسب ابو العباس احمد بن اسحق الكاتب الشاعر » اه .

وقال المسعودى فى كتاب التنبيه والاشراف ص ٧٨ : وكانوا (اى الكلدانيون) شعوباً وقبائل منهم : النونويون (اى النينويون) والاثوريون والارمان والاردوان والجرامقة ونبط العراق واهل السواد » اه .

وقال ابن الفقيه فى مختصر كتاب البلدان ص ٣٥ : قال الكلبى : علوج مصر : القبط ؛ وعلوج الشام : جراجمة ؛ وعلوج الجزيرة : جرامقة ؛ وعلوج السواد : نبط ؛ وعلوج السند : سبابجة ؛ وعلوج عمان : المزون ؛ وعلوج اليمن : سامران (وفى رواية : الابناء وهو الاشهر). اه .

وذكر الطبرى فى تاريخه الكبير (١ : ٨٢٧) ملك الحضر وعده من الجرامقة قال : وكان بحيال تكريت بين دجلة والفرات مدينة يقال لها الحضر وكان بها رجل من الجرامقة يقال له الساطرون ... والعرب تسميه « الضيزن » وقيل : الضيزن من اهل باجرمى وزعم هشام بن الكلبى : انه من العرب من قضاعة وانه الضيزن بن معاوية بن العبيد بن الاجرام بن عمرو بن النخع بن سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .... الى آخر ما ذكره عنه. وقال مثل هذا القول تقريباً ابن الاثير فى ١ : ٢٧٨ من الطبعة الافرنجية والذين سماهم الطبرى وابن الاثير وابن خلدون بالجرامقة سماهم الاصفهانى فى الاغانى ٢ : ٣٧ بنى جرم او بنى الاجرام .

وقال ابن خلدون (٢ : ٦٨) لما هلك فالغ قام بامره بعده ابنه ملكان فغلبه سوريان على الجزيرة . وملكها هؤلاء الجرامقة اخوانه فى النسب بنو جرموق بن اشوذ (اى اشور) بن سام وكانت مواطنهم بالجزيرة وكان ابن اخت سوريان منهم الموصل بن جرموق فولاه سوريان على الجزيرة واخرج بنى عابر منها ولحق ملكان منها بالجبال فاقام هناك . ويقال ان الحضر (واهل صحيح الرواية : ملك الحضر) من عقبه . واستبد الموصل على خاله سوريان بن نبيط ملك بابل وامتازت مملكة الجرامقة من مملكة النبط .... ويقال ان يونس بن متى ... من الجرامقة من سبط بنيامين بن اسرائيل من ابنه . » وقال المذكور فى ص ٦٩ : ويقال : ان الجرامقة وهم اهل نينوى غلبوا على بابل ملك سنجاريف (سنحاريب) منهم .... ولما هلك بختنصر ملك من بعده فيما ذكروه ابنه نشبت نصر ثم من بعده بنيصر وغزاه ارتاق مرزبان كسرى من ملوك الكينية (الكيانية) فقتله وملك بابل واعمالها وصار النبط والجرامقة رعية للفرس وانقرضت دولة النماردة ببابل . هكذا ذكر ابن سعيد ونقله عن داهر مورخ دولة الفرس . » .

وقال ابن الاثير (٥ : ٥٦ من الطبعة الافرنجية و٥ : ٢٨ من الطبعة المصرية) وما اهل الشام ؟ — هل هم الا تسعة اسياف ؟ سبعة منها الى وسيفان على . وما مسلمة (بن عبد الملك) الا جرادة صفراء اتاكم فى برابره وجرامقته وجراجمته وانباط وابناء فلاحين واوباش واخلاط .... »

وفى تاريخ حمزة الاصفهانى (ص ٣٩) : « من بالشام وفلسطين من الجرامقة والجراجمة »

وذكر لفة الجرامقة ياقوت الحموى فى ١ :٢٦ قال : قال محمد بن احمد ابو الريحان البيرونى: الاقليم... هو الرستاق بلغة الجرامقة سكان الشام والجزيرة .. على ماذكر حمزة بن الحسن الاصفهانى وهو صاحب لغة ومعنى بها .» ...

وممن تعرض لذكر الجرامقة المسعودى فى مروج الذهب (٧ : ١١٩) قال : انتهى (المعتصم) الى الموضع المعروف بالقاطول فاستطاب الموضع وكان هناك قرية يسكنها خلق من الجرامقة وناس من النبيط على النهر المعروف بالقاطول آخذاً من دجلة وبنى هناك قصوراً ... وقال ايضاً فى (٨ : ٩١) : « وكان غناء النبط والجرامقة بالغيروارات وايقاعها يشبه ايقاع الطنابير.» اه

وقال ابن العبرى (ص١٣١) الجرامقة هم قوم بالموصل اصلهم من الفرس.

وقال صاحب الاغانى (١٦ : ٧٦) بنو الاحرار ... هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذى يزن . وهم الى الان يسمون بنى الاحرار بصنعاء ويسمون باليمن: الابناء ؛ وبالكوفة :الاحامرة؛ وبالبصرة: الاساورة، وبالجزيرة: الخضارمة ؛ وبالشام الجراجمة » اه . وقد روى صاحب تاج العروس هذه النبذة بفرق ظاهر قال فى مادة خضرم : الخضارمة : قوم من العجم خرجوا فى بدء الاسلام فسكنوا الشام . وفى الصحاح : فتفرقوا فى بلاد العرب . فمن اقام منهم بالبصرة فهم الاساورة (وفى الاصل المطبوع : الاساودة بالدال وهو خطأ واضح) ؛ ومن اقام منهم بالكوفة فهم الاحامرة ؛ ومن اقام منهم بالشام فهم الخضارمة (كذا والاصح الجراجمة) ؛ ومن اقام منهم بالجزيرة فهم الجراجمة (كذا والاصح الجرامقة) ومن اقام منهم باليمن فهم الابناء . ومن اقام منهم بالموصل فهم الجرامقة . » اه

وذكر صاحب لسان العرب الجرامقة قال : جرامقة الشام : انباطها

واحدهم جرمقانى . ومنه قول الاصمعى فى الكميت : هو جرمقانى.
التهذيب: الجرامقة : جيل من الناس . الجوهرى : الجرامقة قوم بالموصل اصلهم من العجم . » اه .

هذا جل ماجاء عند العرب عن الجرامقة وانت ترى ان بعضهم لم يميز بين الجرامقة والجراجمة ، ولاسيما اللغويين منهم ولهذا لاحظ علماء الافرنج ان العرب لم يميزوا بين قوم وقوم. والاصح : انهم لم يقولوا كلهم هذا القول بل بعضهم كما ظهر من ذكر اقاويلهم .

٣ً راى الافرنج فى الجرامقة

كان راى الافرنج فى اول عهدهم بالابحاث الشرقية ان الجرامقة كانوا من الفرس، مستندين فى ذلك على قول العرب انفسهم وعلى ابن العبرى وعلى الاسم نفسه لان فيه الجيم والقاف وقد قالت العرب لاتجتمع الجيم والقاف فى كلمة عربية . — وممن كان على هذا الراى جميع علماء الشرقيات الى عهدنا هذا حتى قام العلامة نلدكى فخالف من سبقه وقال انهم من اصل ارمى او نبطى . وما قال ذلك الا وتأثره جميع المستشرقين لمكانة هذا الرجل الكبير من العلم ووقوفه على اخبار الشرق وتواريخه وقوفاً عجيباً . على اننا وان كنا لانخالفه فى انهم كانوا ارميين الا اننا نثبت انهم كانوا من العرب لا من النبط السريانيين والكلدانيين كما ارتأى . ودونك ادلتنا :

٤ً ادلتنا على ان الجرامقة كانوا عرباً

اول دليل نؤيد به رأينا ان الجرامقة كانوا عرباً نأخذه من معارضة عبارة الطبرى بعبارة الاصفهانى صاحب الاغانى وكلاهما من المتقدمين. والدليل الثانى نأخذه من نسب احد مشاهير الجرامقة الذى اورده هذان الامامان فى العبارة المذكورة وهى: « ان الحضر كان قصراً بحيال تكريت بين دجلة والفرات وان انما الحضر الذى ذكره عدى بن زيد هو الضيزن بن معاوية بن العبيد بن الاجرام بن عمرو بن النخع بن سليح من بنى يزيد بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وامه جهلة (ويروى جيهلة) امرأة من بنى يزيد بن حلوان اخى سليح بن حلوان . وكان لا يعرف الا بامه هذه . وكان ملك تلك الناحية وسائر ارض الجزيرة . وكان معه من بنى الاجرام (وهم الذين سماهم

الطبرى فى ١ : ٨٢٧ وابن خلدون فى ٢ :٦٨ بالجرامقة) وسائر قبائل قضاعة ما لا يحصى وكان ملكه قد بلغ الشام فاغار الضيزن فاصاب اختاً لسابور ذى الاكتاف وفتح مدينة نهرشير (ويروى بهرشير والاصح بهرسير) وفتك فيهم فقال فى ذلك عمرو بن السليح بن حدى بن الدها بن غنم بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة :

لقيناهم بجمع من علافٍ | وبالخيل الصلادمة الذكور
فلاقت فارس منا نكالاً | وقتلنا هرابذ بهرسير
دلفنا الاعاجم من بعيد | بجمع م الجزيرة كالسعير

قالوا : ثم ان سابور ذا الاكتاف جمع لهم وسار اليهم فاقام على الحضر اربع سنين لا يستغل منهم شيئاً ثم ان النصيرة (ويروى النضيرة) بنت الضيزن (اتفقت مع سابور فدلته على عورة المدينة) ففتحها سابور عنوة فقتل الضيزن يومئذٍ واباد بنى العبيد وانى قضاعة الذين كانوا مع الضيزن فلم يبق منهم باقٍ يعرف الى اليوم واصيبت قبائل حلوان وانقرضوا ودرجوا فقال فى ذلك عمرو بن آلة وكان مع الضيزن (الابيات)... قالوا: وكان الضيزن صاحب الحضر يلقب الساطرون وقال غيرهم : بل الساطرون صاحب الحضر كان رجلاً من اهل باجرمى والله اعلم»

فانت ترى من هذا الكلام الذى بسطناه بجملته ان الاجرام او بنى جرم او الجرميين هم الجرامقة بعينهم لان بعضهم سماهم باسمهم العربى والبعض الآخر سماهم باسمهم المنقول الى الصورة الاعجمية الفارسية . واما مسئلة الساطرون وهل هو الضيزن ام لا؟ وهل هو عربى ام لا؟ فهاتان مسئلتان اخريان لا نتعرض لهما الان.

ودليلنا الثالث على ان الجرامقة هم بنو جرم هو: وحدة الاسم وان اختلفت صورتاه . فجرم تلفظ « جرما » على اللغة الارمية وهى لغة عوام ذلك العصر وجرما تلفظ « جرمق » بلغة الفرس وكانت يومئذٍ لغة سادة البلاد كما هو الحالة فى العراقيين اليوم فان لغتهم هى العربية ولغة الدولة الحاكمة عليهم هى التركية . قال المسعودى فى كتابه الاشراف ص ٩١ : جاء زرادشت بالكتاب المعروف بالابستا واذا عرب اثبتت فيه قاف فقيل : الابستاق » اه وعلى هذا الوجه عربت كلمة جرمق هذه .

وحجتنا الرابعة ماذكره صاحب الاغانى (فى ١١ : ١٦٢) ان العباد (وهم اقوام شتى من نصارى العرب نزلوا الحيرة وكان اغلبهم من قضاعة) هزمهم سابور فصار معظمهم ومن فيه نهوض الى الحضر من الجزيرة يقودهم الضيزن بن معاوية التنوخى فمضى حتى نزل الحضر وهو بناه بناء الساطرون الجرمقانى فاقاموا به . اه .

ومن مؤرخى العرب الذين ذهبوا الى عربية الجرامقة ابن خلدون. قال (فى ٢ : ١٧١) : كان بحيال تكريت بين دجلة والفرات مدينة يقال لها الحضر وبها ملك من الجرامقة يقال له الساطرون من ملوك الطوائف وهو الذى يقول فيه الشاعر :

وارى الموت قد تدلى من الحضر على رب اهله الساطرون
ولقد كان آمناً للدواهى ذا ثراء وجوهر مكنون

وقال المسعودى: هو الساطرون بن اسطرون من ملوك السريانيين قال الطبرى وتسميه العرب الضيزن. وقال هشام بن محمد الكلبى: هو من قضاعة وهو الضيزن بن معاوية بن العبيد بن الاجدم (كذا فى الاصل المطبوع وهو خطأ والاصح الاجرام) بن عمرو بن النخع بن سليم (كذا والاصح بن سليح) .. من قضاعة. وكان بارض الجزيرة وكان معه من قبائل قضاعة مالا يحصى . وكان ملكه قد بلغ الشام . ا ه.

وذكر ابن سعيد (راجع ابن خلدون ٢ : ٢٤٩) انه كان لبنى العبيد بن الابرص بن عمرو بن اشجع بن سليح (وبنو سليح بطن من قضاعة من القحطانية) ملك يتوارثونه بالحضر آثاره باقية فى برية سنجار .وكان آخرهم الضيزن بن معاوية بن العبيد المعروف عند الجرامقة بالساطرون وقصته مع سابور ذى الجنود من الاكاسرة معروفة اه .

وممن صرح بعربية الجرامقة ابن صاعد الاندلسى فى كتابه طبقات الامم قال فى ص ٤٥ عند ذكره اخبار العرب ونقلهم اياها : « ومن وقع بجبلى طيء فعنه انت اخبار آل اذينة والجرامقة » فهذا نص صريح على ما نذهب اليه. ولاسيما اذا علمت ان من مساكن بنى جرم بعض ديار طيء .قال ياقوت فى مادة القريتين: موضع فى ديار طيء يختص ببنى جرم. وقال فى مادة الموقف: قرية ذات نخل وزرع لجرم فى اجأ احد جبلى طيء . وقال فى فردة : فردة جبل فى ديار

طيّ يقال له فردة الشموس . وقيل : ماء لجرم في ديار طيّ .

وقال ياقوت في مادة جزيرة اقور : « لما تفرقت قضاعة في البلاد سار عمرو بن مالك التزيدي في تزيد وعشم ابني حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وبنو عوف بن ربان وجرم بن ربان الى اطراف الجزيرة وخالطوا قراها وكثروا بها وغلبوا على طائفة منها فكانت بينهم وبين من هناك وقعة هزموا الاعاجم فيها . (قلت : ارتأى بعض العلماء ان معنى الفرثيين : الاعاجم واخلاط الناس فلعل المراد بالاعاجم هنا الفرثيون) فاصابوا فيهم فقال شاعرهم جدي بن الدلهاث بن عشم المشمي .

صففنا للاعاجم من معد | صفوفاً بالجزيرة كالسعير
لقيناهم بجمع من علاف | ترادى بالصلادمة الذكور
فلاقت فارس منهم نكالاً | وقاتلنا هرابذ شهرزور

ولم يزالوا بناحية الجزيرة حتى غزا سابور ذو الاكتاف الحضر وكانت مدينة تزيد فافتتحها واستباح مافيها وقتل جماعة من قبائل قضاعة وبقيت منهم بقية قليلة فلحقوا بالشام وساروا مع تنوخ » . اه .

ولو اردنا ان نأتي بجميع الاسانيد التي اوردها مؤرخو العرب لضاق بنا المجال وقد اجتزنا بما ذكرنا خوف الاطالة على غير جدوى .

واحسن برهان نأتي به اثباتاً للمقول هو شهادات اهل الغرب انفسهم من رومان ويونان على ان اهل الحضر كانوا عرباً . فقد نقلوا في كتبهم (١) عن طرايانس قيصر انما خضع امماً شتى لرومة حتى ان الرومانيين كانوا يسمون كل يوم باسم جيل جديد يذعن لصولجانهم لم يسمعوا به سابقاً وقد افضى الامر الى ان مجلس الشيوخ قرر ان يحيي طرايانس من مجالي الظفر والنصر بقدر مايريد وعلى مايريد . وقد كانت تهيأت رومة وايطالية كلها لتستقبلاه بكل مايليق به من الابهة والعظمة والجلالة الا انه لم ير ذلك . والسبب هو انه ذهب ليحاصر (الحضر) وهي مدينة عربية فلم يفلح واخفق سعيه وظن انه سم فنهض مريضاً من تلك المحاصرة شاخصاً الى بلاده لكنه لما وصل الى سلندي (سلينتة Sélinonte) في قليقية توفي فيها سنة ١١٧

---

(١) راجع مثلاً المؤرخ روربكر ٥ : ٦٠ l'Abbé Rohbacher · His. Univ. de l'Egl. Cath. - 3e. éd. T.v. p. 60 .

وقد ذكر المؤرخون مثل هذا الفشل للانبراطور سويرس وقالوا ايضاً انه اخفق في محاربته للعرب الذين كانوا في الحضر .

بيد أننا لا ننكر ان كثيرين من المؤرخين يذكرون اسم الفرث او الفرس بدلاً من ان يقولوا « الحضر او عرب الحضر » حينما يذكرون هذه الوقائع وقائع الرومان مع اهل الحضر . ولا بد لذلك من سبب وها نحن نشرحه :

يوم حارب الرومان عرب الحضر كانت هذه المدينة تحت سطوة الفرث الذين يسميهم العرب : الفرس (بفتح الفاء اى Parthes لا الفرس بضم الفاء اى Perses ومنهم من يحمل الواحدة على الاخرى ويخلط اللفظين) او كانت بلدتهم داخلة في اراض يحكم عليها الفرث . واذ كانت تلك المدينة على تلك الحالة جاز للمؤرخ ان يسميها بلدة عربية لان اغلب سكانها عرب وبلدة فرثية او فرسية لكونها كانت في ارض البرثيين او كانت تحت حكمهم ومن هذا نشأ الاختلاف في التعبير على ان اغلب المؤرخين الاقدمين كانوا يروون الحوادث والوقائع ذاكرين ان العاهلين الرومانيين حاربا عرب الحضر لا غير .

٥ً . اعتراضات المخالفين لرأينا .

قد يعترض علينا هذا الاعتراض وهو : ان اهل الحضر لم يكونوا عرباً لان لغتهم كانت فرثية وسريانية اوجرمقانية ومن لم تكن لغته عربية لم يكن عربياً .

قلنا : سبق الكلام على ان الجرميين كانوا في قلب بلاد الفرثيين او البرثيين . وكان اهل الحضر يتكلمون ثلاث لغات : الفرثية لغة سادات البلاد ، والسريانية لغة عوام البلاد واهاليها ، والعربية لغة القوم انفسهم . وعلى هذا لا يكون تناقض ولا يقوم علينا اعتراض ذو شان . وكانت حالة الجرميين يومئذ كحالة التلكيفيين في يومنا هذا . فان منهم من يعرف التركية وهم الذين يريدون الدخول في وظائف اهل الحل والعقد ، والعربية وهم الذين يعيشون بين اهالي البلاد لكونهم عرباً ، والارامية وهي لغة اقوامهم او بنى عنصرهم .

٦ً . اللغة الجرمقانية هي فرع من اللغة الارمية

ليس في كتبنا التاريخية والمعاجم اللغوية ما يهدينا الى معرفة حقيقة اللغة المسماة بالجرمقانية ، فان المستشرقين لم يبتوا حكماً في هذه المسألة الى يومنا هذا وذلك لان ابن الفقيه يقول في كتابه : مختصر كتاب البلدان ص ٧٧ : « الروم

ملكانية يقرأون الانجيل بالجرمقانية ، ثم يقول في ص١٣٦ من كتابه المذكور « الروم كلهم نصارى ملكانية ويقرأون الانجيل بالجرمقانية فلا جرم انه يتكلم عن روم ديار الافرنج والحال انه لم يقرأوا الانجيل بالجرمقانية بل باليونانية او بالرومية فكيف تؤول عبارة ابن الفقيه هذا المعروف ايضاً بابي بكر احمد الهمذاني . — قلنا : جرمقانية روم الافرنج مبنية على وهم الملكانية او الملكائية فيهم لاغير . ولما كان ملكائية ديار الشام يقرأون الجرمقانية في ذلك العهد ويفهمونها ظن الكاتب ان كل ملكائي يقرأ الجرمقانية ويفهمها . ولما كان اغلب روم الافرنج ملكائيين حمل شيئاً على شيء وهذا هو سبب الوهم لاغير . والاقان الجرمقانية بمعنى فرع من فروع الارمية اشهر من ان يذكر . قال العلامة في السريانية الانكليزي پاين سميث في معجمه السرياني اللاتيني الكبير ما معناه (١ :٥٨٥) جرمقي وجرمقايا هو الجرمي او الجرمقي اي من كان اهله من دبيت جرمى ، وهذا اسم صقع . وبالعربية : الجرمقاني والجمع الجرامقة وذكر ابن بهلول : اللسان الجرمقي .. قال سويرس في كتاب له في النحو في كلامه عن اللغتين الاثورية والجرمقية : ان من بينهما انهما تبدلان الباء والفاء واواً . اه بحذف ذكر الاسانيد التي ينقل عنها . ومن هنا ترى ان الجرمقانية هي كالاثورية اي فرع من اللغة الارمية لاغير وبدون ريب .

٧ · ديانة الجرامقة

كانت ديانة الجرميين او الجرامقة الوثنية وعبادة الاجرام السماوية طالما كانوا في ديارهم العربية . ومن اوثانهم المشهورة عندهم يومئذ الاقيصر وذو الخلصة وغيرها . ولم نعثر في مؤلفات القوم على من تنصر منهم وهم في ربوعهم بل انهم تنصروا لما انتقلوا الى الجزيرة الى الصقع الذي عرف من بعد نزولهم فيه باسم « باجرمى اوبيت جرمى اوديار بني جرم اوبلاد الجرامقة » وقد دانوا بالنصرانية منذ اول عهد انتقالهم اليها وتمسكوا بها كل التمسك . وان لم يكونوا كلهم عليها في وقت واحد وفي جميع الديار التي احتلوها ، وكان صقع باجرمى واقعاً في شرقي دجلة بين دجلة و لزاب الاصغر وجبال حرين ونهر ديالى . والدليل على انهم انتحلوا المسيحية منذ القرون الاولى جملة من اشتهر منهم بالامامة والقداسة والشهادة في عهد سابور الملك (سنة ٣٣٠) ومن الاسقفيات التي تذكر في برنامج ايليا الدمشقي : شهرقرد (المعروفة اليوم باسم شرقاط اوشرقاد) ، ودقوقا ،

والبوازيج ، ودراباد ، وخانجار . وقد شهد الصوباوي ان القديس شمعون (المتوفى سنة ٣٣٠) هو الذي انشأ مطرنة الجرميين . وكان لها المقام الرابع بين المطرنات النسطورية كما يتضح ذلك من الطقس الحبري الخاص بهم . وكان يلقب احياناً مطران تلك الديار بلقب مطران الكرخ وشهرقرد وباسلوخ او بيت سلوخ اوكرخ سلوخ وهي كركوك الحالية وفيها كان كرسي هذا المطران . ولما ظهرت النسطورية صبأ اغلب اولئك الاقوام الى المذهب الحديث ولما عرفوا غلطهم رجعوا الى دين آبائهم القديم اي الى الكثلكة . قال بطرك الموارنة السيد بولس بطرس مسعد في كتابه الدر المنظوم المطبوع سنة ١٨٦٣ ص ٩١ ما حرفه : « كان رجوع سمدون (اي سمعونا) الاسقف وشعب الجرميين او الجرمقيين (الجرامقة) في بلاد العراق في زمان بطريركهم يشوعهب الغدلي (اي ايشوعهب او ايشوعياب او يشوعياب الجدالي) نحو سنة ٦٣٠ » اهـ.

قلنا : وآخر مطران عرفنا اسمه من مطارنة الجرميين هو الاسقف سمعان الذي جلس على كرسيه في شهر شباط سنة ١٣١٨ وكان نسطورياً .

وقليلون منهم انتحلوا اليعقوبية ومن مطارنتهم قسطنطين الذي رافق يوحنا السابع سنة ٩٦٩ الى القسطنطينية .

وقال ماري بن سليمان في فصل الفطاركة ص ٧٠ : « وكاتب يوماً اسقف كشكر الآباء بالحضور وحضروا فاختاروا مروى الاركيذياقن واهل الحيرة حنانيشوع والجرامقة . وخالفهم يعقوب بن يزدين الكشكري واختار جيورجيس الراهب من عمر باحالا » اهـ وهذا يدل على ان الجرامقة كانوا نساطرة في ايام حنانيشوع الثاني .

فنرى مما تقدم ذكره ان اغلب الجرميين او بني جرم او الجرامقة كانوا نصارى في ديار الجزيرة لكنهم لم يكونوا جميعهم مسيحيين . اذ كان بينهم مجوسيون ولاسيما في الحضر نفسها . يشهد على ذلك هيكل الشمس الذي كان موجوداً في تلك العاصمة في عهد العاهلين الرومانيين طرايانس وسورس . — ولما ظهر الاسلام في بلاد العرب دان به كثيرون منهم ممن كانوا في تلك الربوع . قال ابن خلدون في تاريخه (٢:٢٤٧) في بني جرم ومواطنهم : بنو جرم بن ربان(١)

(١) ربان براء مهملة بعدها باء موحدة مشددة يليها الف ثم نون وزدت مصحفة

بن حلوان بن عمران : بطن كبير (من قضاعة) وفيهم كثير من الصحابة . ومواطنهم مابين غزة وجبال الشراة من الشام وجبال الشراة من جبال الكرك . (١)

٨ - ديارهم الاصلية

ديار بني جرم الاصلية هي نفس ديار قضاعة لانهم جذم منهم . على انه قد جاء في كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني (ص ١٦٣) ما هذا حرفه : ديار جرم من بين العرب متفرقة منها باليمامة ، ومنها بالبصرة ، ومنها بالعقيق ومنها بحضرموت . وكان لها دار بصعدة في وادي يشور ولها دار مابين صنعاء ومارب ، ولها بدثينة واحور مسلم وخاصة ابني دينار وبني سبيلة » اه . وقد ذكرنا قبيل هذا كلام ابن خلدون في هذا الصدد ولاحظنا في الحاشية انه مخطئ في كلامه ذلك وان ما يشير اليهم وانهم موجودون في انحاء غزة هم جرم طيء لا جرم قضاعة .

وقال صاحب الاغاني عن جرم قضاعة ان منازلهم كانت بالفالج (راجع ١١٨:٧) وفي نواحي الشام مع محالفيهم كلب وعذرة (١١٨:٧) .

في كتب خطية ومطبوعة بصورة زبان (كما في نسخة تاريخ ابن خلدون المطبوعة) وريان كما في كتب كثيرة من قديمة وحديثة . والاصح ما اوردناه . وقد اختلف في ضبطها . قال في تاج العروس في مادة ر ب ن : ربان ككتاب اسم لشخص من جرم وليس في العرب ربان بالراء غيره ومن سواه بالزاي . قلت (اي صاحب التاج): الذي صرح به ائمة النسب انه ربان كشداد . وهو ابن حلوان وهو والد جرم من قضاعة . ينسب اليه جماعة من الصحابة وغيرهم . وهكذا ضبطه الحافظ الذهبي وابن حجر وابن الجواني النسابة وقوله (اي قول الفيروزبادي) اسم لشخص من جرم غلط ايضاً فتأمل . اه .

قلت انا : واما شاهد تشديد الباء من ربان فكقول حميد بن ثور الهلالي :

نزيعان من جرم بن ربان انهم ابوا ان يميروا في الهزاهز محجما

(راجع كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٣٠ من طبعة ليدن)

(١) نقل القلقشندي في كتابه انساب العرب كلاماً يدحض كلام ابن خلدون هذا . قال في مادة « بنو جرم »: قال الحمداني ومنهم بنو جشم وبنو قدامة وبنو عوف . قال في العبر : ومنهم جماعة من الصحابة رضه : قلت ووهم القاضي ولي الدين بن خلدون اذ قال في تاريخه ومنهم جماعة من الصحابة ومنازلهم ما بين غزة وجبال الشراة من جبال الكرك . قلت (اي القلقشندي) : وكأنه توهم ان جرم الذين ببلاد غزة هم جرم قضاعة والا فقد تقدم في الكلام على جرم طيء انهم هم النازلون ببلاد غزة كما ذكره الحمداني وهو اعرف بذلك وأفقه لانه كان مهمنداراً ومن شأنه معرفة العرب الواصلين الى الابواب السلطانية . اه .

ثم نزلوا السماوة . قال (في ١١ : ١٦٢) : اغارت حمير على بقية قضاعة فخيروهم بين ان يقيموا على خراج يدفعونه اليهم او يخرجوا عنهم فخرجوا وهم كلب وجرم والعلاف ، وهم بنو ربان بن تغلب بن حلوان . وهو اول من عمل الرحال العلافية . وعلاف لقب ربان فلحقوا بالشام فاغارت عليهم بنو كنانة بن خزيمة بعد ذلك بدهر ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وانهزموا فلحقوا بالسماوة فهي منازلهم الى اليوم . » اه .

٩ . اوصافهم حينما كانوا في ديارهم

القبائل كالرجال لها من يمدحها ولها من يقدح بها . قال زيد الخيل يمدح بني جرم عند الخليفة عمر : « جرم فوارس الغدرة ، وطلاعو نجوة ، ولا تحل لهم حبوة ، ولا تراع لهم ندوة ، ولا تدرك لهم نبوة ؛ عمود البلاد ، وحية كل واد ، واهل الاسل الحداد ، والخيل الجياد ، والطارف والتلاد . (عن الاغاني ١٦ : ٥٠) — وقال من يذمهم وهو حميد بن ثور الهلالي يكلم رحلين ارسلهما في قضاء امر :

وقولا اذا جاوزتما ارض عامر	وجاوزتما الحيين نهداً وخثعما
نزيعان من جرم بن زبان انهم	ابوا ان يميروا في الهزاهز محجما

قال ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء ص ٢٣١ من طبعة ليبسيك : امرهما ان ينتسبا الى جرم لان العرب تأمنها لذلها ولا تخاف منها غارة . » اه .

١٠ . الخلاصة

هذا بعض ماوصلت اليه يدنا من التحقيق وهناك تفاصيل غير هذه وانما اجتزأنا بما ذكرنا حباً للاختصار . ونحن نقضي العجب من ان دائرة المعارف للبستاني ومعلمة الاسلام لمستشرقي الافرنج ارباب الفنون المتخصصين لها لا تذكران شيئاً عن الجرامقة ولا عن جرم او بني جرم او الجرميين او الاجرام مع انك رأيت خطورة هذا البحث ومنزلته من التاريخ مما وقفت عليه في مطاوي هذه السطور . فعسى ان يعوض عن هذا النقص بما يفيد القوم في الملحقين اللذين يدرج فيهما ما فات اولئك المؤلفين . هذا ما في وطابنا ومن زادنا تحقيقاً زدناه شكراً .

الشيخ عثمان بن سند البصري

Le Cheikh Othmân ben Sanad al-Bisry.

١ : مقدمة تمهيدية